البيان

السنة الاولى — الجزء الخامس عشر

١ يناير سنة ١٨٩٨

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

هذا في فاعَلَ واما تفاعَلَ فاذا كان بين اثنين فاكثر فليس فيهِ الاّ المشاركة في الفعل كتضارب القوم وتنازعوا الشيء وتواثبوا اليهِ او في مزاولتهِ كتقاتلوا وتفاخروا . واما اذا كان من جانبٍ واحد فكثيرًا ما يجيء لوقوع الفعل مكررًا نحو تعاطى الامرَ وتشاغل بهِ وتلاعب وتلاهى وتمايل الغصن وتهادت المرأة اذا تمايلت في مشيتها اكثر ما يُستعمَل في النسآء وتعاطف الرجل وهو ان يحرّك رأسهُ ويتهادى في مشيهِ وتعادى المكان اذا كان غير مستوٍ وتضارس البنآء وهو بمعناهُ وتقاذف الفرس في جريهِ اذا اسرع وحقيقتهُ قذف نفسهُ مرّةً بعد مرّة وتساقط الشيء اذا تتابع سقوطهُ او سقط قطعةً قطعةً . او لوقوع الفعل في مهلةٍ نحو تراجع عن الشيء وتقاعس عنهُ اي تأخر وتجانف عنهُ اي مال وتخامص عنهُ وتجافى عنهُ وتباعد وهي بمعنىً وتلافى الامرَ وتداركهُ وتعافى المريض وتماثل وهو بمعنى تعافى وتعاظم الامر وتكاثر وتزايد وتكامل وتناهى وتجاوز حدّهُ وغير ذلك

وقد يجيء استفعل لمزاولة الفعل مثل فاعَلَ نحو استوقدتُ النار واستوريتُ الزند واستخرجت الشيء واستنبطت الركيّة اي البئر اذا استخرجت ماءها واستقطرت الماء اذا رُمتَ قَطَرانهُ واستوكفتهُ مثلهُ واستودفت الشحم اذا استقطرتهُ على النار واستنقذت الرجل واستملتهُ واستدرجتهُ واستنزلتهُ . ويجيء بمعنى الحمل على الشيء نحو استطر بهُ واستبكاهُ واستحضر فرسهُ اذا حملهُ على الحُضر وهو الاسراع في الجري واستعداهُ وهو بمعناهُ واستنبح الكلبَ واستثار الصيدَ واستنفرهُ واستجهلهُ الطيش واستخفّهُ الغضب واستزلّهُ الشيطان واستهامهُ الحبّ وما جرى هذا المجرى

وقد ذكروا لافتعل معاني منها الاتخاذ ومثلوا عليهِ بقولهم احتطب وهو غير ظاهرٍ في هذا المعنى وأظهرُ منهُ قولهم اشتوى اذا اتخذ شِواءً واطّبخ اذا اتخذ طبيخًا واحترف صناعة كذا اذا اتخذها حرفةً لهُ واصطنع فلانًا اذا اتخذهُ صنيعةً لنفسهِ واختدمهُ اذا اتخذهُ خادمًا وهو كثير . ويَشرَكهُ في هذا المعنى تفعّل نحو توسّد وتلثم وتختم وتزوّد ونحو تخدّم الرجلَ وتعبّدهُ وتأمّى الجارية اي اتخذها أمَةً وتولّى فلانًا اذا اتخذهُ مولًى وتزوّج المرأة وتسرّاها وتبنّى الصبيّ وتمثل بالشيء اذا ضربهُ مثلًا وغير ذلك . وقد يجيء استفعل بهذا المعنى نحو استفرخ الحمامَ اذا اتخذهُ للفراخ واستذرى بالحائط وغيرهِ اذا اتخذهُ ذَرًى لهُ اي كِنًّا يستتر بهِ ومثلهُ استكنّ بهِ واستظلّ بهِ اي اتخذهُ ظُلّةً وهي كل ما اظلّك واستعبد الرجلَ واسترقّهُ واستخدمهُ وهذا الاخير عن المصباح واستأمى الجارية وهو مثل تأمّاها واستعمل الحاكم فلانًا اي اتخذهُ عاملًا وكذا استوزرهُ واستقضاهُ واستحجبهُ وما شاكل ذلك

ويأتي افتعل لاخذ الشيء الذي اشتُقّ منهُ الفعل نحو امتخّ العظمَ اذا

امتصهُ واستخرج مخّهُ ومثلهُ امتكّهُ وهي المُخاخة والمُكاكة وكذا اصطلب العظم اذا طبخهُ بالماء واستخرج دسمهُ فائتدم بهِ وهو الصليب واطفح القِدر اذا اخذ طُفاحتها وهي ما يعلوها من الزَبَد وانتشف الرجلُ اذا شرب نُشافة اللبن وهي ما يعلوهُ من الرُغوة عند الحلب ومثلهُ ارتغى من الرُغوة . ويشاركهُ في ذلك ايضاً تفعّل نحو تمخخ العظمَ وتمككهُ وتسأّر النبيذ اذا شرب سؤرهُ اي بقيتهُ وتزبّد اللبن اذا استخرج زُبدهُ وتبرّض الماء اذا اخذ برضهُ وهو القليل منهُ وتثمّل ما في الاناء اذا شرب ثميلتهُ وهي البقية من الماء تبقى في اسفله . وربما جاء استفعل بهذا المعنى نحو استصفى الشيء اذا اخذ صفوهُ وهو نادر . وبقيت هناك اشياء أُخر يقف عليها من استقرى الفاظ اللغة بالتدبر فتكتفي منها بهذا القدر

وقبل ان نختم هذا البحث لا بدّ لنا ان نذكر شيئاً في الكلام على اشتقاق الفعل والمشهور في كتبهم ان المجرّد منهُ يؤخذ من المصدر والمزيد يؤخذ من المجرّد ما خلا امثلةً قليلة من بابي أفعل واستفعل صرّحوا باشتقاقها من الجامد نحو اغدّ البعير اذا صار ذا غدّة واستحجر الطين اذا تحوّل الى الحجرية لم يكادوا يزيدون على ذلك . والتحقيق أن هذا لا يختصّ بالبابين المذكورين ولا ينحصر من غير المصدر في الجوامد فقد جاء منهُ فعّل بالتشديد كقولهم ذهّب الشيء اذا طلاهُ بالذهب وغبّرهُ اذا لطخهُ بالغبار وترّبهُ اذا جعل عليهِ التراب وكلّسهُ اذا طلاهُ بالكلس وكذلك جيّرهُ وجصّصهُ ودوّن الدواوين اي وضعها وجمعها ومصّر المكان اذا جعلهُ مصرًا وأرّف الارض اذا جعل لها أُرفةً وهي الحدّ بين الارضين ونوّع الاشياء وصنّفها اذا جعلها انواعاً او اصنافاً وكذلك جنّسها ولم يزد في القاموس في تفسير هذا الاخير على قولهِ والتجنيس تفعيل من الجنس

وقال في لسان العرب والجنس اعمّ من النوع ومنهُ المجانسة والتجنيس اه وما نحسبهما ارادا الاّ التجنيس البديعي والذي اشرنا اليهِ هو مقتضى القياس . ومن ذلك بناء فاعَلَ وهو مقيس من اسماء الزمان في معنى المعاملة كقولهم ياوَمَهُ اذا عاملهُ باليوم ومثلهُ لايَلَهُ وشاهَرَهُ وعاوَمَهُ وساناهُ وساوَعَهُ وصايَفَهُ وشاتاهُ وغير ذلك . ويكثر اخذهُ من اسماء الاعضاء نحو ظاهَرَهُ اي عاونهُ وحقيقتهُ جعل ظهرهُ مع ظهرهِ ومثلهُ آزَرَهُ وهو من الأزر بمعنى الظهر وكذا عاضدَهُ وساعدَهُ ومن هنا قول بعض كتّاب المعاصرين كاتَفَهُ اي ساعَدَهُ كأن المعنى جعل كتفهُ الى كتفهِ . ونحو خاصرهُ اذا مشى الى جنبهِ فجعل خصرهُ الى خصرهِ ومثلهُ جانَبَهُ وعانقهُ وصافحهُ وواجههُ وشافههُ . وقد يجيء من غير ذلك نحو تاخَمَهُ وآرَفَهُ وهو بمعنى تاخَمَهُ وكاسَرَهُ اذا كان كِسر بيت احدهما اي جانبهُ الى كِسر بيت الآخر وطانَبَهُ وهو من الطُنب ككاسرهُ من الكِسر وسامَتَهُ اذا قابلهُ وآزاهُ وهذا عن المصباح وقسْ على ذلك تفاعل في الكل . ومنهُ بناء تفعّل كقولهم تأيّت الرجل اذا قصدتهُ مأخوذٌ من الآية وهي الشخص فكانك قلت قصدتُ آيتهُ وتخشبت الابل اذا اكلت الخشب وقولهم تطرّف السيل المكان وتحيّفهُ اذا اخذ من اطرافهِ او حافاتهِ وتوسطتُ الدار اذا صرتَ في وسطها وتصفحت الكتاب اذا نظرتَ في صفحاتهِ وتديّرت المكان اذا اتخذتهُ دارًا كذا نطقوا بهذا الحرف وكان حقهُ بالواو تبعاً لاصل الألف واكثر ما جاء من تفعّل بمعنى الاتخاذ من هذا . ومنهُ الفاظٌ اشتُقّت من اسماء الاعضاء نحو تأبّط الشيء اذا جعلهُ تحت ابطهِ وتنكّب القوس اذا جعلها على منكبهِ وتضلّع الآكل اذا امتلأت اضلاعهُ وترجّل الفارس اذا قام على رجلهِ وتقدم الماشي وحقيقتهُ خطا بقدمهِ وتكفّف السائل اذا سأل بكفّهِ وتعقبتُ الرجلَ اذا تبعتهُ

فجعلتَ عقبك مكان عقبهِ . وفي مجراهُ وزن افتعل نحو اعتضدهُ اذا جعلهُ على عَضُدهِ وانتكبهُ وهو مثل تنكبهُ واحتجرهُ اذا جعلهُ في حجرهِ واحتضنهُ وهو كذلك من الحضن وارتفق اذا اتكأَ على مرفقهِ الى غير ذلك

وكثيرًا ما يقع ذلك في المجرّد نحو مَلَح الطعام اذا جعل فيهِ الملح ورَمَلهُ اذا جعل فيهِ الرمل وتَرِب الرجل اذا افتقر حتى لصق بالتراب وراش السهمَ ولا ثقل أراشهُ اذا ألزق عليهِ الريش وكَلِب الكلب وغيرهُ اذا اعتراهُ جنون الكلاب ونَعِج الرجل اذا ثقُل قلبهُ من اكل لحم الضأن كذا فسروهُ ومَرُؤَ اذا جمع الكمالات الانسانية وشَمِس اليوم اذا كان ذا شمس . ومن ذلك قولهم رأس فلانٌ القومَ وفاهَ بالكلمة وكفتهُ عن الامر وحقيقتهُ دفعتهُ بكفي وصبتهُ على الشيء أي دللتهُ عليهِ بالاصبع وجبهتُ الرجل اذا استقبلتهُ بما يكره فكأنك صككت جبهتهُ وأذنتُ لهُ واليهِ اي استمعت وضَرِس الرجل اذا كلّت اضراسهُ من اكل حامض وأنِف اذا استكبر وترفع عن قبول الشيء وهم كثيرًا ما ينسبون الكبر والهوان وما يناسبهما الى الانف يقال رجلٌ اشمّ وشامخ الأنف وقد رغمَ انفهُ ووطئت انفهُ وجدعَ انفهُ وقال الشاعر يهجو قومًا

من كل من قامتهُ اصبعٌ وأنفهُ خمسةُ أشبارِ

ويتصل بذلك قولهم رأسهُ اذا اصاب رأسهُ وعَضَدهُ اذا أصاب عَضُدَهُ وشفهُ اذا ضرب شفتهُ وصُدِر الرجل اذا أُصيب صدرهُ وكذلك رُئِي من الرئة وفُئِد من الفؤاد وشُغِف من الشغاف وهو قميص القلب وغير ذلك . وأغرب ما ورد في هذا الباب قولهم تموّل الرجل اذا صار ذا مالٍ ويقال ايضًا مال يمال مثل خاف يخاف وحقيقة لفظ المال ما الموصولة ولام الملك ثم استعملوهما كلمةً واحدة واشتقوا منها وقلبوا الالف في التصريف واوًا على حكم الالف المجهولة

ومما تقدم يتبين لك ان قولهم ان المصدر المجرّد اصل المشتقات لا يلزم منهُ ان يكون المصدر المذكور مرتجلاً خلافاً لما يتوهمهُ بعض ضعفة المصنّفين ولا يمنع ان يكون مأخوذاً من اصل آخر كسائر الابنية المشتقة من المصدر وغيرهِ مما ذُكر على ما مرّت بك مثلهُ . بل كثيرًا ما يُشتَق بعض مزيدات الافعال من الاسماء المشتقة مع وجود المصدر المجرّد وذلك نحو قولهم حدّثهُ بكذا فانهُ مشتقٌ من الحديث الذي هو صفةٌ من حَدَث الشيء لا من الحدوث الذي هو مصدر حدَث المجرّد لانهُ لا يجري عليهِ في المعنى . وبيانهُ انهم قالوا حدث الشيء ضدّ قَدُمَ فهو حادثٌ وحديث ثم استعملوا الحديث الذي هو ضدّ القديم بمعنى الخبر على حدّ ما هو في بعض اللغات الافرنجية كالفرنسوية والانكليزية ثم قالوا منهُ حدّثتهُ وحادثتهُ وكلاهما من معنى الخبر لا من معنى الحدوث كما ترى وحينئذٍ فكلٌّ من التفعيل والمفاعلة هنا صيغةٌ قائمةٌ بنفسها لا من مزيدات حدَث المجرّد كما يستدرَك بأدنى رويّة . وكذا قولهم قلّدهُ اي ألبسهُ القلادة فانهُ مشتقٌّ من القلادة لا من القَلَد الذي هو العطف واللِّيّ المشتقة منهُ القلادة . وقس على ذلك قولهم ارتقب الرجل اذا علا واشرف وهو مأخوذ من المرقب للمكان العالي يُرقَب منهُ لا من رَقَب وقولهم ترهّب اذا دخل في الرهبانية فانهُ مشتقٌّ من الراهب لا من الرهبة والاّ لكان بمعنى تخوّف وسيمرّ بك مزيد بيانٍ لذلك في البحث الآتي ان شاء الله

ستأتي البقية